**المحاضرة 03**

**الفونولوجيا في الدراسات اللغوية الحديثة: 1- عند دي سوسير**

يعد "دي سوسير" أب اللسانيات الحديثة فقد شكلت محاضراته التي نشرت بعد وفاته ثورة في الفكر اللغوي الحديث، وتعدى تأثيرها إلى مجالات معرفية كثيرة مثلما حدث وأن اكتسحت مفهوم البنية ميادين العلوم الإنسانية في مشهد من مشاهد التقلبات الفكرية السريعة في القرن العشرين.

وكتابه "محاضرات في اللسانيات العامة" دستور اللسانيات الحديثة ومعظم الرؤى والتيارات اللسانية التي أتت بعده غرفت منه اما بناء وتكملة وتفصيلا لمشروع صاحبه أو نقدا لبعض أطروحاته، المهم في جميع الأحوال شكل وقود الحركية اللسانية الحديثة على مدار نصف قرن ويزيد.

وقد كان الاهتمام بالجانب الصوتي للغة حاضرا في كتابه، ولأنه القاعدة التي انطلقت منها الدراسات الصوتية لاحقا لا بأس أن نتوقف عند أهم المحطات التي تهمنا من كتابه لمقاربة أطروحته حول الدراسة الصوتية للغة؛

1**- الطبيعة الصّوتية للّغة**: إذ يقول: "دراسة الأصوات هي الخطوة الأولى لمعرفة الحقيقة"، ولا يمكننا أن نفهم المقصود من هذه الحقيقة إلا حقيقة اللغة وجهده موجه لفهم هذه الأخيرة، وهو الذي يرى بأن وظيفة اللسانيات هي دراسة اللغة في ذاتها وليس غير اللغة ولأجل ذاتها. لهذا كانت مستويات الدراسة اللسانية متدرجة من الأهم فالأهم فكان المستوى الصوتي في طليعتها.

كما أن لسانيات دي سوسير اهتمت أكثر باللغة الحية المتداولة أكثر، لأنها التي تتناسب مع أطروحة الدراسة التزامنية فالمكتوب يجسد شكلا لغويا ماضيا يمكن أن يدرس لكن لا يعطي لنا إمكانية الكشف عن جوانبه المختلفة بالتمام لا سيما الصوتي، فلمعرفة اللغة أكثر وجب مقاربة اللغة المستعملة في تداولها الشفهي، كذلك من موجبات الموضوعية والشمولية في الدراسة اللسانية أن نعتمد على اللغة الشفهية لأن هناك من اللغات التي لم ترق لأن تجسد في رموز كتابية. فالصوت هو المدخل الذي لابد منه لمقاربة حقيقة اللغة.

**2- بين الفونولوجيا والفونيتيك:** يقول: "إن فيزيولوجيا الأصوات ... كثيرا ما يطلق عليها فونيتيك بالفرنسية، وهذا المصطلح أراه غير مناسب لذا سأستخدم عوضا عنها لفظة فونولوجيا، لأن الفونيتيك أول ما استخدم للدلالة على دراسة تطور الأصوات، وينبغي أن يبقى ضمن هذا المفهوم" ويقول في موضع آخر: "الفونيتيك علم تاريخي، والفونولوجيا يقع خارج الزمن". من هذين القولين نستنتج الحمولة الاصطلاحية لكلا المصطلحين فونيتيك وفونولوجيا؛ فالأول - فونيتيك - هو العلم الذي يهتم بدراسة تطور الأصوات في لغة من اللغات ، منهجه تاريخي، أما الفونولوجيا فهو العلم الذي يدرس الأصوات دراسة وصفية في لحظة واحدة - دراسة تزامنية -، ويفهم من هذا الأخير وفق طرح سوسير أنه المخول بتشخيص الأصوات ووصفها وتصنيفها من حيث مخارجها وصفاته.

**3- الفونيم:** يقول سوسير في كتابه محاضرات في اللسانيات العامة: "الفونيم هو الحصيلة النهائية للانطباعات السمعية وحركات النطق، وهو الأثر المتبادل للوحدات السمعية والوحدات المنطوقة، إذن فهو وحدة مركبة لها جذر في السلسلة المنطوقة وآخر في السلسلة السمعية". الفونيم مصطلح محوري في دراسة الأصوات وفهم تصور دي سوسير له يعيننا على إدراك حيز اشتغال العلم الذي يهتم به الفونولوجيا، باعتبار أن هذا الأخير يدرس الفونيمات.

يرى دي سوسير أن الفونيم له طبيعتان متكاملتان، طبيعة مادية تتولد عن عمل أعضاء النطق في الأول ثم تلك الأصوات تنتقل على شكل موجات تتلقفها الأذن المستمعة، فبمجرد أن يحدث استقبالها بالأذن تنطبع صورة سمعية لدى السامع تترجم تلك الموجات، ولهذا فسوسير يرى بأن لهذا الفونيم جذر في السلسلة المنطوقة وآخر في السلسلة السمعية.

ولهذا يمكن أن نصف عمل الفونولوجيا بأنه يهتم بالصوت في طبيعته المادية كقيمة جاهزة للاستعمال في منظومة لغوية، وكذلك يهتم بالصوت وهو مستعمل في طبيعته المجردة كصورة سمعية يستمد قيمته من تجاوره مع الصور السمعية الأخرى في السلسلة اللغوية.

**4- تحقق الصوت:** يقول دي سوسير: "موجز القول إن العناصر التي تسهم في إخراج الأصوات هي إطلاق الهواء إلى الخارج، والنطق في الفم، وتذبذب في منطقة الحنجرة والرنين الأنفي". يتحقق الصوت إذا حسب دي سوسير بعمليتين: 1- دفع الهواء إلى الخارج 2- النطق في الفم (اعتراض هذا الهواء لخلق الصوت)، كما يصاحب العمليتين آليتان تسهمان في تنويع أداء الأصوات هما: 1- تذبذب الحنجرة 2 - الرنين الأنفي.